مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

زيارة السوداني إلى واشنطن
نتائج مشروطة بأداء متجدد

علي فارس حميد

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

زيارة السوداني إلى واشنطن .. نتائج مشروطة بأداء متجدد

علي فارس حميد*

يفترض تحليل منطق التفاعلات الدولية أن تكون هنالك حسابات استراتيجية قادرة على فهم أولويات المصالح ومدى انسجامها من حيث العلاقات الثنائية بين الدول، وهذا ما يمثل مجرى فهم النظام الدولي وحركة المتغيرات التي عادةً ما تكون المعيار الأساسي لتحليل هذه العلاقات. وفي خضم الأوضاع التي تشهدها منطقة الخليج والشرق الأوسط أجرى السيد السوداني زيارة إلى واشنطن بعد عدة جولات من المفاوضات بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية تتضمن تحليل وتقييم العلاقة. ومن الواضح تماماً أن العراق يخضع لتقييم استراتيجي للعلاقة مع واشنطن بعد أن تم تكليف لجنة ثنائية لتقييم وضع تنظيم داعش والشراكة الأمنية بين الدولتين في ضوء تطورات سياسية داخلية تدفع باتجاه خروج القوات الأجنبية من العراق وإمكانية القوات المسلحة العراقية من السيطرة على الوضع الأمني. إلى جانب ضغوطات اقتصادية مركزة قد تؤثر تداعياتها على المشاريع التنموية برمتها.

العراق ودوامة التجاذبات الإقليمية

يشكل الملف الإقليمي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أهمية استراتيجية حيوية بحكم طبيعة التفاعلات التي تشهدها المنطقة والوضع في غزة، الذي يتطلب حماية الكيان الصهيوني من جهة والالتزام حيال الحلفاء الرئيسيين من جهة أخرى، وبين طموحات الجمهورية الإيرانية الهادفة إلى فرض نفسها كقوة إقليمية فاعلة غير قانعة بالدور الأمريكي في المنطقة. وضمن هذه البيئة، فإن العراق يشكل منطقة تلاقي وتصادم المصالح بحسب سلوكه السياسي، والذي يزيد من أهميته بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

وفقاً لبعض التقارير والدراسات الأمريكية، فإن سلوك العراق الإقليمي يمثل واحدة من أهم معايير الاستقرار الإقليمي بحكم التنافس والصراع الذي تشهده المنطقة بين القوى الرئيسة فيه، ومن ثم فإن معظم الملاحظات التي تناقش العلاقة بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية تخضع لحسابات العلاقة مع الجمهورية الإيرانية. وهو ما يؤيد فهم الخبراء في واشنطن إلى أن تقييم العلاقة مع العراق يخضع إلى سلوك العراق الإقليمي ذاته وفقاً لما يؤديه من أدوار في المنطقة والمدى الذي

* استاذ الدراسات الدولية والاستراتيجية، جامعة النهرين.

يسمح فيه للجمهورية الإيرانية بتجاوز العقوبات والضغوطات المفروضة من قبل الإدارة الأمريكية، فبحسب تقديرهم أن العراق هو الوحيد القادر على تغيير طبيعة المعادلات الإقليمية وما يرتبط بها من أدوار وفقاً للموقع الذي يتبناه في أدائه الإقليمي وسياسته الخارجية.[1]

ومن خلال تقييم سريع لرؤية الحكومة العراقية في مجال التعامل مع القوات الأجنبية، والتي تعد بمثابة ركائز أساسية للحوار العراقي مع واشنطن، فإن من بين الأولويات التي تبنتها وزارة الخارجية العراقية هو العمل على حماية وتحصين سيادة العراق، والحفاظ على أمن واستقرار العراق وازدهاره. وتعزيز الدعم الدولي المقدم للعراق في مكافحة الإرهاب. والتي يتم التعامل معها بوصفها أولويات استراتيجية بالنسبة لوزارة الخارجية العراقية. ومن ثم فإن المواقف التي تتعلق بالتحالف الدولي والقوات الأجنبية تعد من الأولويات التي يتطلب من وزارة الخارجية دعمها والعمل على توسيعها، والذي يشمل بحكم متطلباته تنسيق القوات الأجنبية على الأراضي العراقية بالطريقة التي يتم التعامل من خلالها.[2]

لم تشهد السياسة الخارجية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية أي تطور إيجابي ملحوظ منذ تولي السيد السوداني رئاسة الحكومة، إذ اتسعت سياسة الضغوط الأمريكية التي كانت موجهة نحو الحكومة العراقية والعقوبات التي فرضت على مؤسسات عراقية خاصة لتبين تقييم العلاقة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية حيال السياسة الخارجية العراقية والمواقف الإقليمية من التعامل مع الجمهورية الإيرانية وبعض القضايا ذات العلاقة بمحور المقاومة، والتي جاءت على مستوى الشركات والاقتصاد الوطني وسياسات البنك المركزي وشركة الطيران كالحالة مع فلاي بغداد،

1.Daniel Byman and Seth G. Jones Can a Regional War Be Avoided in the Middle East? by https://www.csis.org/analysis/can-regional-war-be-avoided-middle-east

2. إن الأولويات الاستراتيجية مثبتة حسب تصنيف وزارة الخارجية العراقية بالنحو الآتي:

- العمل على حماية وتحصين سيادة العراق، والحفاظ على أمن واستقرار العراق وازدهاره.
- تعزيز الدعم الدولي المقدم للعراق في مكافحة الإرهاب.
- دعم قضايا الأمن المائي والبيئة، بالعمل على زيادة حصة العراق المائية لنهري دجلة والفرات وروافدهما، وتعزيز القرارات الصادرة عن المنظمات الدولية لدعم موقف العراق حول موضوع المياه المشتركة، وزيادة حجم الدعم الفني والمالي المقدم للعراق في مجال حماية البيئة.

وهناك أولويات تخصصية، في البعد الإقليمي والعربي والدولي، والمنظمات الإقليمية والدولية، وحقوق الإنسان، ورعايا العراق في الخارج، تجدون ذكرها حسب الباب المخصص لها في الاستراتيجية.

الموقع الرسمي لوزارة الخارجية العراقية، عن طريق الرابط الإلكتروني:

https://mofa.gov.iq/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%88%d9%84%d9%88%d9%8a%d8%a7%d8% /

وكذلك الضغوط على الحشد الشعبي من جهة وبعض الشخصيات السياسية من جهة أخرى، وهذا بحد ذاته يعد تأثيراً مباشراً على إدراك الحكومة العراقية؛ ومن ثم فإن قرار العقوبات من شأنه أن يقلل الثقة بالقطاع الخاص ورجال الأعمال؛ لأن العقوبات التي يمكن أن تلوحهم لأسباب سياسية سيكون لها تأثير كبير على وضعهم الاقتصادي. إلى جانب أن هذه الضغوط قد أثرت على المواطن وثقته بالإجراءات والسياسات الحكومية لاسيما تلك التي تتصل بالتنمية والتعامل مع الشركات العالمية الكبرى التي أصبحت تتوجس من العمل في العراق؛ بسبب العقوبات التي تطال المؤسسات الاقتصادية فضلاً عن زعزعة الثقة بمقدرة الحكومة على الالتزام بالواجبات المفروضة عليها؛ بسبب إمكانية أن تنتقل الضغوط الأمريكية إلى عقوبات مباشرة؛ مما يسبب أزمة نقدية في العراق. وهو الأمر ذاته الذي اعتمده المسؤولون في واشنطن على طول المفاوضات التي شاركوا فيها العراق مخاوفهم، والتي تم توضيحها في زيارة السوداني الأخيرة واللقاء بالرئيس الأمريكي جو بايدن، حيث حماية الكيان الصهيوني هي أولوية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ولن تسمح بتمدد الفصائل أكثر في المنطقة دون وجود حدود لضمان المصالح.

إن المعيار الذي يحدد العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية لا يرتبط بالوضع الداخلي والسياسات المحلية بقدر ارتباطه بالسياسة الخارجية والعلاقات ضمن البيئة الإقليمية والدولية، والتي تجد بها الولايات المتحدة الأمريكية، فالضغوط التي تفرضها الإدارة الأمريكية هي تحاول تقييد سلوك العراق الخارجي حيال الجمهورية الإيرانية وبعض القضايا الأخرى التي تمس المصالح الأمريكية، وهو ما يعد أسلوباً تقليدياً يعده الأمريكان الأسلوب الأكثر فعالية في تقييم واحتواء التهديدات المتنامية.

من حيث نطاق النقاشات التي أجراها رئيس الوزراء محمد شياع السوداني، فإن مشكلة الضربات التي توجه إلى القواعد الأمريكية كانت من المحطات المهمة خاصةً في ضوء تصريحات وبيانات بعض فصائل المقاومة التي ترى ضرورة الاستمرار بتوجيه الضربات العسكرية، فمن الناحية العملية تتجه حكومة السيد السوداني إلى ضرورة تحويل العلاقة مع التحالف الدولي ضمن مسار الشراكة والتنسيق الأمني، في حين أن فصائل المقاومة العراقية ترى ضرورة خروج هذه القوات وهو ما لا يتماشى مع الإدارة الأمريكية بحكم الأوضاع في المنطقة، ومن ثم فإن السوداني يمكن أن يكون في موقف ضعيف بسبب عدم قدرته على إقناع الفصائل بخيارات وسطية.

وفي نطاق زيارة السيد السوداني إلى واشنطن، فإن بعض المراكز والمؤسسات البحثية تعاملت مع الزيارة بتوقعات عالية على اعتبار أن العراق يحاول تأسيس شراكة واسعة مع الولايات المتحدة

وهنالك تعاون كبير بين العراق والولايات المتحدة في مجالات أمنية واقتصادية يسعى العراق إلى استثمارها إلى أقصى حد[3]، في حين ركزت مؤسسات بحثية أخرى، ومن بينها **مركز ولسن** على أن محاولات رئيس الوزراء في إقناع الإدارة الأمريكية بخروج القوات الأمريكية يعني زيادة في نفوذ قوة فصائل المقاومة من الناحية العسكرية والمالية وهو ما يشكل تهديداً لأمن حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة.[4]

الضغوطات الاقتصادية وتبعات ما بعد اللقاءات الدبلوماسية

من بين أولويات الحكومة العراقية هو إيجاد حلول لمسألة الدولار والبرامج الاقتصادية ذات الصلة بالضغوطات الأمريكية، وهو الأمر ذاته الذي يفسر وجود مجموعة من رجال الأعمال والمصارف والشركات إلى جانب الوفد الذي زار الولايات المتحدة الأمريكية، والملف الاقتصادي بما يتضمنه من سياسات نقدية ومالية يعد أولوية في برنامج السوداني الوزاري، غير أن طبيعة الإشكاليات الذي تحكم هذا الملف تخضع إلى ضعف الحكومة العراقية في تطبيق القواعد والمعايير التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية بخصوص التعامل مع الدولار، فالدولار هو العملة الأمريكية التي تخضع إلى قواعد الولايات المتحدة، وليس سياسات الدول، ومن ثم فإن أي تحسين في الموقف الاقتصادي سيكون مشروطاً بالنجاحات التي يقدمها العراق في سلوكه الخارجي والعلاقة مع الجمهورية الإيرانية.

وفقاً للنقاشات المعمقة داخل الولايات المتحدة، فإن مراكز الأبحاث ومؤسسات الفكر تجد أن من الضروري الاستمرار بالعقوبات والضغوط الاقتصادية المفروضة لغرض تعديل سلوك العراق وتقييد أدائه الخارجي بما لا يتعارض على أقل تقدير مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما لم يتمكن رئيس الوزراء من التعامل معه بسهولة؛ بسبب تصريحات فصائل المقاومة المتتالية، والتي تبرر استمرار العمليات ضد القوات الأمريكية؛ بسبب الانتهاكات التي تقوم بها قواتها الموجودة في العراق بشكل خاص، والتي تزايد حجم تأثيرها بعد توجيه الجمهورية الإيرانية لضربات عسكرية بواسطة

3. According to the Atlantic Council hosting the Prime Minister https://www.atlanticcouncil.org/blogs/new-atlanticist/iraqs-prime-minister-on-how-to-elevate-us-iraqi-relations-beyond-just-security/

4.Prime Minister Sudani's Pivotal US Visit and Its Implications for Iraq's Future, by https://www.wilsoncenter.org/article/prime-minister-sudanis-pivotal-us-visit-and-its-implications-iraqs-future

طائرات مسيرة تجاه الكيان الصهيوني جاءت أثناء تواجد رئيس الوزراء في واشنطن.5

لم تكن اللقاءات التي عقدت في واشنطن أكثر من كونها إجراءات بروتوكولية قائمة على أساس التواصل، فالإشكاليات التي تتصل بالسياسة الخارجية العراقية وتقييم علاقة الشراكة وفقاً للاتفاقية الإطارية ما تزال ضمن أجندة عمل اللجان المشتركة، والتي ستخضع إلى الإجراءات البيروقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل ذلك يندرج أيضاً ضمن الاعتبارات التي تحرك خيارات السياسية الخارجية الأمريكية بحكم تأثير شركات العلاقات العامة واللوبيات، وفي هذا الصدد سبق للعراق تعاقده مع شركات علاقات عامة لتقديم الخدمات لصالح الحكومة العراقية، أبرزها شركة (Cogent Strategies)، وقد دخل العقد حيز التنفيذ في يناير 2022، ولمدة عام واحد، يركز عمل هذه الشركة على التواصل مع مراكز الأبحاث، بالإضافة التدريب في المجال الإعلامي للسفير العراقي، وكادر السفارة في واشنطن، وقد جدّد العراق تعاقده مع الشركة لعام آخر. وفي خضم الأحداث والتوترات التي رافقت أحداث السابع من أكتوبر (طوفان الأقصى)، عقدت السفارة العراقية في واشنطن في شهر فبراير من هذا العام عقداً مع (سكوايز باتون) وهي شركة علاقات ضاغطة، في محاولة للتواصل وتعزيز العلاقات السياسية والتجارية بين الولايات المتحدة والعراق وتقديم المشورة السياسية[6]، ولكن يبدو لغاية اللحظة أن هذه الشركات لم تكن باستطاعتها أن تنجز مكاسب حقيقية للعراق. إما لعدم وجود التزام بتوصيات هذه الشركات، أو أنها ليست بمستوى نموذجي يمكنها من إحداث تغيير في نمطية العلاقات القائمة.

وفقاً لذلك، فإن طبيعة التداعيات التي يمكن أن تنتج من الزيارة وما حققته الحوارات والمفاوضات التي عقدها الوفد العراقي برئاسة السيد السوداني ستبقى مشروطة بإعادة التوازن في الأداء السياسي الخارجي، والذي يتطلب جملة من الالتزامات في مقدمتها إصلاحات مؤسساتية داخلية، وتحويل التعاملات التجارية وفق قواعد ومعايير الشفافية التي تشترطها المؤسسات الأمريكية المشرفة على التعاملات بالدولار الأمريكي، فالتوقعات المحتملة وفقاً لقواعد الاستشراف تبين أن نقاط الضعف بالنسبة للعراق أكبر من نقاط القوة. أما إمكانية تحسين مركز العراق التفاوضي، فإن يتطلب جملة من السياسات والاجراءات، والتي قد تحتاج إلى عدة سنوات لغرض تعزيز الخيارات التفاوضية.

5. Ibid.

6. أنس سعد عبد العزيز و كرار نوري، العراق واستراتيجية العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، نشرة إدارة التوقع، مركز تاج الحضارة، بغداد، 4202 ص3